وسط البلد

Cairobserver
مشاهد القاهرة

CAIROBSERVER.COM

DOWNTOWN

CAIROBSERVER IS THE START OF A CONVERSATION ABOUT CAIRO'S ARCHITECTURE AND BUILDINGS, URBAN FABRIC AND CITY LIFE

مشاهد القاهرة بداية حوار حول معمار القاهرة ومبانيها وايضا حول نسيجها العمراني والحياة بها

نشرة غير دورية وغير مخصصة للبيع

9 783933 809353 >

ممرات وسط البلد: رؤية للإحياء والتنمية

إعداد فريق كلاستر (www. clustercairo.org)

تم تأسيس مختبر عمران القاهرة للتصميم و الدراسات- كلاستر (CLUSTER) في مصر في أعقاب ثورة عام ٢٠١١. في وقتٍ تغيرت فيه الإدارات السياسية والظروف العمرانية، ظهرت مبادرات عديدة من الجمعيات المحلية في ظل فراغ سياسي ومن خلال ممارسات عمرانية غير رسمية. من هنا، نشأت فكرة كلاستر لتوثيق مثل تلك التغيرات بعد الثورة مباشرةً، خاصة ما يتعلق بإعادة تشكيل واستخدام الأماكن العامة من قبل الأفراد والمجموعات، حيث يهدف كلاستر إلى تفعيل مجالاً نقدياً للخطاب العمراني، وتأسيس منبرًا لمبادرات الفن والعمارة، وكذا طرح أُطر نظرية ومفاهيم نقدية من خلال الممارسات المهنية اليومية واعتماد منهجية عملية ملامسة للواقع. بالإضافة إلى ذلك، يسعى فريق كلاستر لتطوير آليات للتفاوض ما بين اللوائح المؤسسية والممارسات العمرانية اليومية آملًا أن يساهم بذلك في إبراز الإمكانيات الكامنة في العمران غير الرسمي. ويرتكز كلاستر في التطوير والإحياء العمراني على مبدأ مشاركة أصحاب المصلحة من المجتمع المحلي وكذلك المهتمين بالفن والعمارة. تم تخطيط القاهرة الخديوية على غرار المدن الأوروبية في أواخر القرن التاسع عشر مثل باريس وفيينا، بما في ذلك الممرات التجارية بين أو خلال مجموعة من المباني حيث تعتبر واحدة من الأنماط العمرانية المتفردة بها وسط البلد. وقد مرت وسط البلد بفترات من الازدهار والتدهور والاضمحلال على مدى العقود الماضية، حيث أمست العديد من الممرات بها مواقع تخديم للاستخدامات والأنشطة الغنية والمتنوعة. تمتد هذه الأنشطة إلى الفراغات بين المباني والردود والأفنية وعدد من الشوارع الجانبية التي كانت إما رسميًا أو بحكم الواقع مخصصة للمشاة.

تتراوح استخدامات هذه الفراغات بين أماكن للطعام ومقاهٍ وفراغات للتسوق، بما في ذلك اللوازم المكتبية وبيع الكتب والبارات والمطاعم، وصالات العرض والمساحات الفنية. وعلى النقيض، تعاني الطرق الرئيسية والميادين العامة من التكدس المروري وزحف الباعة الجائلين والفراغات العامة غير الآمنة مما يجسد تدهورًا عمرانيًا وتداعيًا للتراث المعماري في وسط البلد. وفي هذا السياق، يمكن أعتبار شبكة الممرات كبنية موازية للشوارع الرئيسية، تتميز بأنها مظللة وبعيدة عن الضوضاء، لا تتعارض مع الكثافة المرورية. وكنتيجة لبعد هذه القنوات عن حركة المرور الرئيسية، أصبحت كمراكز محورية يتجسد فيها نزاع المصالح والحق في الفراغ. وبالنظر إلى هذه الممرات مجتمعة نجد أنها توفر فرصة لإعادة تصور وسط البلد كشبكة للنزهة والتسوق والترفيه ويمكنها استيعاب أنشطة بديلة من خلال مسارات مستمرة وآمنة للمشاة وطرق للدراجات متصلة بمحطات المترو والنقل العام لتمثل مجتمعةً رؤيةً تنمويةً مستدامةً وصديقة للبيئة. كما توفر مسرحًا للبرامج الفنية والثقافية الدورية، مثل معارض الكتب ومهرجانات للأطفال، والأسواق النوعية، وأيضًا طرق للدراجات والمسارات الخضراء.

مشروع توثيق ممرات وسط البلد:

في إطار عملية رصد وتوثيق ممرات وسط البلد، قام فريق كلاستر بجمع وتحليل بيانات عن مجموعة كبيرة من الممرات التجارية والشوارع الجانبية والفراغات البينية بوسط البلد متضمنةً الأنشطة المختلفة والسمات الغالبة لكل ممر والمواد المستخدمة والأطراف الفاعلة في كلٍ منها، حيث تطور هذا البحث من خلال مراحل عدة.

بدأت أولى هذه المراحل بجزء من مقرر أكاديمي في جامعة أكتوبر للعلوم الحديثة والآداب (MSA)، حيث سعى هذا المقرر إلى استكشاف مفهوم «البينية» في جوانبها المادية والاجتماعية والثقافية والرمزية، لتمثل إطارًا ملموسًا للتفاوض بين الملكية الخاصة والعامة، والأنساق العمرانية الرسمية وغير الرسمية، كما تعبر - مجازًا- عن الحالة الانتقالية بين بنايتين أو نظامين عمرانيين وسياسيين أحدهما انهار والآخر في طور التكوين. وفي هذه المرحلة تم تعريف الممرات بـ «كل الفراغات البينية بين أو داخل المباني العمارات أو الشوارع الجانبية والحواري المغلقة أمام حركة السيارات بحيث تكون مخصصة للمشاة فقط، سواءً كانت مصممة في الأصل كممر، أو تم ذلك بقرار رسمي من الجهات الحكومية، أو بطريقة غير رسمية بحكم الواقع». خلصت هذه المرحلة إلى وضع مصفوفة رصد مشتملةً الموقع والنمط العمراني والاستخدامات الأساسية والتوثيق البصري لكل ممر. تلى عملية الرصد والتوثيق تطوير حلول عامة لأنساق متكررة واستخدامات نمطية تمثل إشكاليات عمرانية مثل نسق المساجد وزوايا الصلاة والتي يراعى بها اتجاه القبلة وتوفير أماكن للوضوء، أو نسق المقاهي والمطاعم والتي تستدعي تحديد مساحات لوضع كراسٍ وطاولات مع عدم إغلاق الممر والمحافظة على مساحة الغير.

وقد أبرزت هذه المرحلة فكرة «الدبلوماسية العمرانية» والتي تتبنى آليات تفاوضية تحاول الوصول إلى حلول وسط بين كل الأطراف. وفي مرحلة لاحقة من الدراسة، تم التركيز على المربع السكني لشارع هدى شعراوي كنموذج للمربعات العمرانية (superblocks)؛ حيث تبنت هذه الدراسة تحليلًا للتحولات العمرانية من خلال استعراض تاريخي/زمني لتطور وسط القاهرة)حي الإسماعيلية وحي التوفيقية(، وكذا تحديد النماذج والطرز المعمارية في هذا المربع السكني، والاستخدامات والأنشطة الموجودة في شوارعه، بالإضافة إلى مقابلات مع أهم الشخصيات القاطنة والفاعلة فيه. وقد انتهت هذه المرحلة بتصنيف هذه الممرات إلى عدة أنساق طبقًا لتطورها التاريخي (الجينيولوجي) أو النمط العمراني (المورفولوجي). فينقسم النسق الأول إلى عدة أنواع من ممرات تجارية صممت في الأصل داخل مبنى أو بين مجموعة من المباني، أو كنتيجة لردود جانبية بين مبنيين، أو فناء/حوش داخلي، أو شوارع جانبية تم تحويلها إلى مسارات للمشاة بصفة رسمية، أو أخرى بصفة غير رسمية. أما النسق الثاني فيضم العديد من أشكال المساقط الأفقية والمداخل ومسارات الحركة مثل الشكل النجمي أو شكل حرف L أو ذي النهاية المغلقة وما إلى ذلك. تمثل هذه التصنيفات قاعدة بيانات تحليلية متاحة للأكاديميين والباحثين العمرانيين. بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن توفر هذا الأنساق أدوات وأُطر للتخطيط العمراني لكلٍ من المصممين ومتخذي القرار. ويسعى فريق كلاستر في المستقبل إلى نشر هذه البيانات في مطبوعة وموقع إلكتروني على الإنترنت.

معرض «حسن خان»:

في العقود الثلاث الماضية، عانت الكثير من ممرات وسط البلد من حالات التداعي والانهيار نتيجة لفترات طويلة من الإهمال، ويعتبر ممر كوداك شاهدًا على ذلك. فقد أضحت الكثير من المحلات على جانبيه خاوية أو مهجورة، بينما ظهرت بمحيطه العمراني عدد من المساحات الناشئة للفن والسينما والتصميم (مركز الصورة المعاصرة وسيماتك وكلاستر)، مما جعل منه فرصة لإثراء الحركة الثقافية والفنية كمحفز للتنمية الحضرية بصفة عامة وإحياء المباني والمحلات التجارية والممرات من خلال إقامة مساحات الفنية للمعارض. وفي خطوة لاختبار تلك الفرضية، قام فريق كلاستر بأعمال التجديد بالإضافة إلى التصميم المعماري والتنسيق الفني لمعرض الفنان المصري حسن خان، حيث شغل معرضه أربع قاعات على طول ممر كوداك، ليصبح أكبر معرض أُقيم له في القاهرة والأول منذ إحدى عشر سنة. وقام بإنتاج المعرض اورينت برودكشان ومهرجان الفنون المعاصرة (D-CAF). وفي نهاية المعرض ولمنع تدهور هذه المساحات مجدداً، سعى فريق كلاستر لتنظيم برامج أخرى بها، مثل ورش التصميم وعروض الأفلام والموسيقى.

ورشة ممرات وسط البلد:

تم اختيار ممري كوداك وفيليبس منذ أكثر من عام، حيث كانت الفكرة هي تطوير هذين الممرين كمشروع استرشادي لاختبار فرضية هذه الممرات كركيزة للإحياء والتنمية والدور الذي يمكن أن يلعبه التصميم والفن كأداة للتفاوض بين طموح واحتياجات أصحاب المصلحة المختلفين. وتم عرض هذا المقترح على المعهد الدنماركي المصري للحوار (DEDI) والمركز الدنماركي للثقافة والتنمية (CKU)، كداعمين لهذا المشروع بالشراكة مع محافظة القاهرة وحي عابدين. ويعد الممران المتجاوران نمطين مختلفين للفراغات البينية؛ حيث يمثل ممر فيليبس حيزًا تجاريًا تقليديًا متعدد الاستخدامات يتداخل فيه الفراغ العام والخاص، بينما يعتبر ممر كوداك المتسع نسبيًا حالة استثنائية نظرًا لقيمته البصرية والمعمارية وقلة الاستخدامات الموجودة به حاليًا.

وقد تم اختيار هذين الممرين كمواقع عمرانية واقتصادية واجتماعية يتفاعل بها مختلف الشركاء؛ كالسكان وأصحاب المحال التجارية والمطورين العقاريين والباعة الجائلين وكذا مبادرات حقوق المرأة والمساحات الفنية والثقافية بالإضافة إلى المخططين العمرانيين ومؤسسات الحفاظ على التراث وذلك في إطار الاشتراطات والقوانين المنظمة للتطوير الحضري بوسط البلد. كانت أول خطوة أتخذها فريق كلاستر هي إشراك المجتمع المحلي سواءً في ممر كوداك أو فيليبس، من أصحاب محلات وسكان ومطورين عقاريين وسلطات محلية ومنظمات المجتمع المدني والمساحات الفنية ومجموعات حقوق المرأة وكذا إدارات المرور والأمن ومختلف الجهات المعنية. من خلال هذا التواصل والتحليل تم تطوير تقريرًا أوليًا لإرشادات التصميم ((Design Brief والذي أصبح أساسًا لورشة العمل التي نظمها فريق كلاستر بالتعاون مع المعهد الدنماركي المصري للحوار (DEDI) والمركز الدنماركي للثقافة والتنمية (CKU)، حيث عملت مجموعة من الفنانين والمعماريين من مصر والدنمارك على تطوير أفكارًا تصميمية أولية لكل ممر بناءً على احتياجات ورغبات أصحاب المصلحة المحليين حيث تم التشاور معهم قبل وأثناء الورشة والتي أستمرت أسبوعًا.

سعت الورشة إلى تعزيز مبادئ أساسية في الفراغ العام كالرحابة والتنوع والأمان والإستدامة البيئية، وقد شارك فيها كلٌ من : آن ماري جالمستراب (الدنمارك)، آية طارق (مصر)، أحمد زعزع (مصر)، أدهم سليم (مصر)، بيانكا هيرمانسن (الدنمارك)، كينيث بالفيت (الدنمارك)، منار مرسي (مصر)، ياسمين العياط (مصر)، ياكوب فينجير (الدنمارك).

وفي نهاية هذه الورشة، تم اختيار مقترحين من قبل لجنة تحكيم ممثلة من ممارسين مهنيين وأكاديميين في مجالات الفن والعمارة بالفراغ العام هما: «الواحة الخضراء» لممر كوداك و«واحة النور» لممر فيليبس. وقد اقترحت «الواحة الخضراء» بممر كوداك كحديقة صغيرة هادئة وسط النسيج العمراني الكثيف والصاخب، فيما قُصد بـ«واحة النور» تطوير مساحة أكثر أماناً وتنوعاً ورحابةً يمكن أن تستوعب أنشطة فنية.

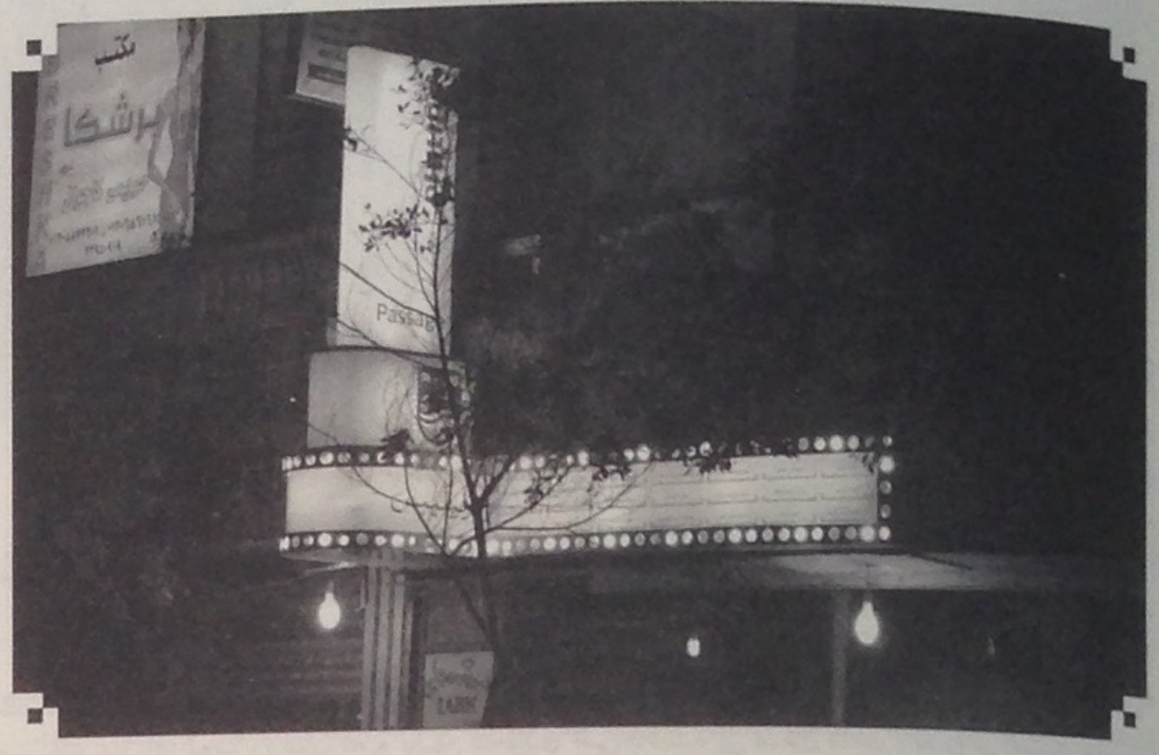

مرحلة تطوير التصميم والأعمال التنفيذية بممري كوداك وفيليبس:

في المرحلة التالية، قام فريق كلاستر بتطوير التصميم للمقترحين الفائزين، حيث قام بتحويل هذه الأفكار الأولية إلى مخططات قابلة للتنفيذ في حدود الميزانية المتاحة وفي الإطار الزمني المحدد، تلتزم بالقواعد والأكواد المنصوص عليها من قبل السلطات المحلية ليقوم لاحقًا بالإشراف على التنفيذ. وقد امتدت مرحلة تطوير التصميم واستخراج التصاريح المطلوبة والتعاقد مع المقاولين أربعة أشهر، لتبدأ الأعمال التنفيذية في أوائل نوفمبر المنصرم، وتم أفتتاح مشروع تطوير الممرين في يناير ٢٠١٥.

ويمثل مشروع تطوير وتجديد ممري كوداك وفيليبس نموذجًا استرشاديًا كجزء من هذه الشبكة للفراغات البينية، حيث يمكن تعميمه في ممرات أخرى في المستقبل. وتبرز أهمية هذا المقترح في سياق انتشار المبادرات الفنية والثقافية في السنوات الأخيرة في وسط البلد حيث ظهرت العديد من المساحات الفنية والمسارح والمكتبات والمقاهي الثقافية ودور العرض والتي تمثل مجتمعةً رصيدًا فنيًا وثقافيًا يمكن أن يساهم في إنعاش الاقتصاد العمراني بالمنطقة وكذا إعادة إحياء التراث المعماري بها.

ممر كوداك:

يتشكل ممر كوداك من فراغ عمراني طولي ممتد ما بين شارعي عبد الخالق ثروت وعدلي وهو محاط بمجموعة مبانٍ على شكل حرف U. وقد أدى غلق معظم المحلات المطلة عليه لسنوات إلى انخفاض حركة المشاة بالممر ذو الطابع المعماري المتفرد. وتمثل المساحات الداخلية على جانبي الممر فرصة لإقامة معارض فنية وثقافية والتي يمكن أن تساهم في إحياء الفراغ العام وتنميته.

وقد ارتكزت رؤية المقترح التصميمي على تطوير هذا الممر ليصبح متنزهًا عامًا يتسم بالهدوء وسط العمران الصاخب والمتداعي. وقد اشتملت أعمال التطوير في هذا الممر على أربع مراحل رئيسية؛ بدايةً من أعمال تجديد البنية التحتية وتصميم شبكة للري والصرف لتجهيز أحواض الزراعة، وتبع ذلك أعمال التبليطات والمقاعد الخرسانية، تلاها غرس الشجيرات ونباتات الظل في المواقع المختلفة، وانتهاءً بأعمال الإضاءة، حيث تم تصنيع عشر وحدات إضاءة معلقة (أبليك) تماثل النموذج الأصلي الوحيد الكائن بالممر وهي مصممة على طراز الارت ديكو المميز لعمارة ثلاثينيات القرن الماضي.

ممر فيليبس:

يربط ممر فيليبس بين شارعي شريف وعدلي من خلال فراغ بيني ضيق نسبيًا على شكل حرف L، تسوده أنشطة متنوعة واستخدامات مختلفة من مكتبات ومحلات أدوات كهربائية بالإضافة إلى المطاعم والمقاهي. ويتسم ممر فيليبس بأحد المظاهر الرئيسية للعديد من الفراغات العمرانية بوسط البلد من حيث التداخل ما بين الملكية الخاصة والحيز العام، بينما يمثل إمكانية لاستيعاب فاعليات ثقافية وفنية تتكامل مع الأنشطة التجارية السائدة.

وقد تباينت التدخلات التصميمية في ممر فيليبس عنها في ممر كوداك، مقتصرةً على مساحة أصغر وكاستجابة لاحتياجات مختلفة. بدأت الأعمال باستيعاب مشاكل البنية التحتية وتحسين نظام صرف المياه من خلال أعمال التبليطات ذات النسق المنتظم والمستوي، يراعي في نفس الوقت مستويات الأرضيات المختلفة داخل المحلات على جانبيه. وأشتملت الفكرة الثانية على توفير مساحة متصلة بالمقهى تصلح لعروض سينمائية دورية وندوات ثقافية من خلال اتصال بصري بين داخل المقهى وخارجه. وأخيرًا، تم التركيز على أعمال الإضاءة داخل الممر ليخلق مساحة أكثر أمانًا وفراغًا عامًا أكثر تنوعًا ورحابةً. كما اشتملت هذه المرحلة على تصميم لافتة نيون مستوحاه من تصميمات لافتات السينما في فترة الثلاثينيات، تعرض أسماء كل المحلات الموجودة داخل الممر وتشير إلى مدخله من شارع عدلي.

وقد أفتتح المشروع في ١٧ يناير٢٠١٥، حيث مثل محافظة القاهرة السيد اللواء محمد أيمن عبد التواب نائب المحافظ والأستاذ جمال محمد محي رئيس حي عابدين، كما مثل الشركاء الداعمين من الدنمارك السيدة برنيل ديلر كاردل سفير دولة الدنمارك، ممثلة عن المركز الدنماركي للثقافة والتنمية (CKU)، والسيد د/هانز كورس هولم نلسن مدير المعهد الدنماركي المصري للحوار (DEDI). وكان ذلك بحضور ممثلين للشركاء المحليين وأصحاب المحلات والسكان في كلا الممرين، بالإضافة إلى حشدٍ من رواد العمارة والعمران والثقافة والفنون.

الفن والثقافة كمحفز للعمران:

يمكن فهم مشروع ممرات وسط البلد في السياق العمراني والاقتصادي والسياسي للمنطقة في العقد الماضي، حيث بزغت العديد من المبادرات والمؤسسات الفنية والثقافية لتشغل فراغات الورش والجراجات المطلة على شوارع جانبية أو وحدات في عمارات سكنية وإدارية مؤسسةً نمطًا جديدًا للإحياء والتجديد من خلال أنشطتها. ويمكن إدراك ذلك من خلال مجموعة من الأنساق العمرانية والإقتصادية، يتمثل أولها في إعادة إستخدام المباني من خلال تجديد البنية التحتية للمبنى ذاته والمحيط العمراني الممتد حوله. ثانيًا، يمثل زوار هذه المساحات من فنانين وطلبة ونشطاء وصحفيين رصيدًا اقتصاديًا، حيث عادةً ما يرتادون المقاهي والمطاعم والملاهي خلال زيارتهم لتلك الفاعليات. وأخيرًا، يشكل موقع كلٍ من هذه المساحات الثقافية والفنية نقطة إرتكاز تنموية يتبعها ظهور أنشطة مساندة كالمقاهي والمطاعم والمكتبات بالإضافة إلى الإزدهار النسبي للورش الحرفية التي تساهم بعضها في أعمال التجديد وإقامة المعارض.

وفي هذا السياق، ترتكز رؤية كلاستر التنموية على رصد هذه المبادرات، حيث تبلور ذلك في تطوير منصة المبادرات العمرانية بالقاهرة (CUIP) في عام ٢٠١٣ لتوثيق المبادرات الفنية والثقافية والعمرانية. بالإضافة إلى ذلك، يقوم فريق كلاستر ببحث جارٍ لقياس تأثير هذه المبادرات على الإقتصاد العمراني بوسط البلد بما في ذلك التغير المحتمل للقيمة العقارية، حيث يشكل دور الفن في إحياء وتجديد وسط البلد أحد المفارقات الكلاسيكية في التنمية العمرانية في مدن عدة على مستوى العالم: يمثل الإنتشار السريع لهذه المبادرات في حد ذاته خطرًا غير مباشر على إمكانية استمرارها في مواقعها الحالية. ومن هذا المنطلق، تمثل الممرات موقعًا جغرافيًا واقتصاديًا واجتماعيًا فريدًا، لا يتجلى فيه البعد العمراني من إحياء وتجديد فحسب، بل يمكن أن يستوعب أيضًا دراسة أبعاد اقتصادية واجتماعية من ازدهار نسبي يتسبب في ارتفاع الإيجارات مما قد يؤثر سلبًا على استمرار هذه المبادرات في وسط البلد. بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن تمثل الممرات مجتمعةً إطارًا نقديًا يتم من خلاله قياس معايير مختلفة لاستثمار دور الفن كمحفز عمراني والاستفادة من خبرات الدول الأخرى في تجنب خطر الإزاحة الاجتماعية.

جميع الصور والرسومات والخرائط من إعداد كلاستر

CLUSTER

مختبر عمران القاهرة للتصميم والدراسات Cairo Lab for Urban Studies, Training & Environmental Research